المبحث الثالث

سفر باروخ

(Book Of Baruch)

تسمية السفر وكاتبه :

يسمى هذا السفر بسفر باروخ أو باروك ويسمى في الفولجاتا بنبوءة باروخ[1] وسمي بهذا الإسم اعتقادا أن كاتبه هو باروخ الذي ورد اسمه في بداية الإصحاح الأول[2]، وباروخ اسم عبري معناه "مبارك" كان كاتبا محبا مخلصا للنبي إرميا (إر:32/ 12) حيث سلمه صك الحقل الذي اشتراه ثم استدعاه- إرميا النبي- ليكتب الكلام الله الذي تنبأ به في درج ويقرأه على مسامع الشعب في بيت الرب، ثم قرأه بعد ذلك في آذان رؤساء اليهود فاضطربوا اضطرابا عظيما، وأشار بعضهم على باروخ أن يذهب ويختبئ هو وإرميا من وجه الملك يهوياقيم، لأن هذا الملك احتدم غيظا ومزق السفر وألقاه في النار عند سماعه لجزء صغير منه، ثم بعد ذلك أوحي إلى إرميا أن يكتب السفر ثانية فأحضر صديقه باروخ وأملى عليه ما كان مكتوبا في السفر السابق وبعض الزيادة أيضا.

ومن أعمال باروخ التي تستحق الذكر، ذهابه إلى بابل حاملا رسالة من النبي إرميا تنبأ بما كان مزمعا أن يحل بتلك المدينة العظيمة من القصاص الإلهي والعقوبة، وما لبث أن رجع إرميا إلى أورشليم حتى ألقي الحصار على المدينة وسجن كلاهما، فلما فتحت المدينة أخرجا من السجن وكان باروخ من جملة من أخذوا إلى مصر (إر: 1/43-7)[3].

أما بخصوص كاتبه فإن السفر عند مطالعته لأول مرة "يبدو وكأنه من وضع باروك أمين سر إرميا، ألفه أثناء الجلاء إلى بابل، ووجهه إلى الجماعة التي بقيت في أورشليم، لكن هناك فوارق كثيرة بين المعلومات المقتبسة من المؤلفات المعاصرة

---

(1) History Of New Testament Times; P:409.

(2)" هذا كلام الكتاب الذي كتبه باروك بن نيريا بن معسيا بن صدقيا بن حسديا بن حلقيا في بابل .في السنة الخامسة في السابع من الشهر حين اخذ الكلدانيون أورشليم واحرقوها بالنار" باروخ: 1/1-2.

(3) قاموس الكتاب المقدس، ج1، ص: 204 -205. وقد ذكر هذا الإسم في الكتاب المقدس كتسمية لشخصين آخرين هما: باروخ بن زباي الذي رمم قسما ثانيا من سور أورشليم (نح:3/ 20)، ويرجح أنه كان ضمن الذين ختموا الميثاق (نح:10/ 6). وباروخ ابن كلحوزة من يهوذا من عشيرة الشيلوني (نح:5/11).

لسقوط أورشليم والجلاء وما ورد في سفر باروك، وهذه الفروق تجعل نسبة هذا الكتاب إلى أمين سر إرميا أمرا مستحيلا، فالكتاب ينتمي إذا إلى أدب الأسماء المستعارة"[1].

ولا بد أن نذكر هنا أن الخصائص التي تمتاز بها الكتابات "الرؤوية أنها إما مزيفة تحت أسماء مستعارة مثل سفري أخنوخ وباروخ، أو أنها لا تنسب لأحد مثل "اليوبيل" كما أن الكثير من هذه الكتابات يظهر فيها آثار إقحام أو حشو للعبارات وتعديلها والتي قام بها أشخاص في أزمنة لاحقة. ولو كان بحوزتنا تاريخ كامل وواضح للفترة التي وضعت فيها هذه الكتابات، ولو أن الكتابات الأدبية من هذه الفترة وصلت إلينا سليمة، لكان في إمكاننا تحديد الأسلوب الشخصي، ولكن في ظل الظروف الراهنة، يعتبر تحديد المؤلف أمرا مستحيلا"[2].

وهذا الأمر معناه صراحة أن مؤلف سفر باروخ مجهول وغير معروف وهو الأمر الذي أكده قاموس الكتاب المقدس بقوله:" سفر باروخ من جملة أسفار الأبوكريفا مجهول الكاتب والزمان الذي كتب فيه"[3].

أما القول بأن كاتبه هو باروخ فقد أكده القمص بيشوي عبد المسيح[4] استنادا إلى ما ورد في العدد الأول من الإصحاح الأول كما أشرنا سابقا، أما القول الثالث في مسألة كاتب السفر فيذهب أصحابه إلى أن كاتبه هو إرميا وذلك لما جاء صراحة في الإصحاح السادس حيث يقول:" نسخة الرسالة التي أرسل بها إرميا إلى الذين أوشك ملك بابل أن يسوقهم أسرى إلى بابل يخبرهم بما أمره الله به"[5].

وبالنظر إلى وحدة السفر وتماسكه نرى اختلافا واضحا بين أجزائه مما يوحي أنه كتب بأيد مختلفة وفي أزمنة متفاوتة؛ فالكتاب "غير متجانس وهو مركب من أربعة أقسام بصرف النظر عن رسالة إرميا لا يمكن أن تكون لمؤلف واحد وفي زمن واحد"[6].

---

(1) الكتاب المقدس، الرهبانية اليسوعية، ص: 1755.

(2) « they are all pseudonymous, as Enoch and Baruch, or anonymous, as the Book of Jubilees. Many of them in addition show traces of interpolation and modification by later hands. If we had a full and clear history of the period during which they were written, and if its literature had to a great extent been preserved to us we might have been in a position to fix on the individual; but as matters stand, this is impossible . International Standard Bible Encyclopedia; Vol.1; P: 566).

(3) قاموس الكتاب المقدس، ج1، ص: 205.

(4) القمص بيشوي عبد المسيح، الأسفار القانونية الثانية، سفر باروخ، ص: 1.

(5) باروخ: 1/6.

(6) الكتاب المقدس، الرهبانية اليسوعية، ص: 1756.

هكذا إذن يتضح أن كاتب سفر باروخ غير معروف على وجه الدقة مما يوحي بوجود مجموعة من المشاكل التي ستعترض الباحثين في هذا المجال وهذا الأمر لا يقتصر على هذا السفر فقط بل يشمل أغلب أسفار الكتاب المقدس.

اللغة الأصلية للسفر وتاريخ ومكان كتابته:

بالنسبة للغة الأصلية للسفر هناك رأيين إثنين أحدهما يقول بالعبرية والثاني يقول باليونانية لذلك قال القس "يوأنس الأنبا بولا" في تفسيره[1] أنه يمكن تقسيم السفر لغويا إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول (1/1- 3/ 8): كتب أصلًا باللغة العبرية، وفيما بعد ترجم إلى اللغة اليونانية ترجمة بها ألفاظ عبرية وبعض الأخطاء البسيطة في النسخ.
- القسم الثاني(3/ 9- 4/4): هذا القسم يعطي نظرة دقيقة على أن الكاتب له معرفة تامة بتطور الفكر اليهودي ونظرتهم لمفهوم الحكمة، وهذا الجزء كتب باللغة العبرية وقد ترجم ترجمة ممتازة إلى اليونانية.
- القسم الثالث(4/ 5- 5/ 9): يشك البعض في أن يكون له أصل عبري، مع العلم أنه لا يوجد دليل على هذا الشك، ولكن الأغلبية توافق على أن له أصل عبري، وقد ترجم ترجمة حرة بدون تقيد بالنص العبري.

أما الموسوعة الكاثوليكية الجديدة فقد قسمت السفر لغويا إلى أربعة أقسام هي:[2]

- القسم الأول(1/1 – 14): كتب باليونانية.
- القسم الثاني(15/1 – 8/3): كتب بالعبرية.
- القسم الثالث(9/3 – 4/4): من الممكن أن يكون كتب بالعبرية لكن الأرجح أنه كتب باليونانية.
- القسم الرابع(5/4 – 9/5): احتمال كبير أنه كتب باليونانية.

أما بالنسبة للسنة التي كتب فيها هذا السفر فقد جاء في إصحاحه الأول: "هذا كلام الكتاب الذي كتبه باروك بن نيريا بن معسيا بن صدقيا بن حسديا بن حلقيا في بابل في السنة الخامسة في السابع من الشهر في الوقت الذي أخذ فيه الكلدانيون أورشليم وأحرقوها بالنار"[3]، لكن النقاد انقسموا في تحديد "السنة الخامسة" الوارد

---

(1)http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Youannes-St-Paul/30-Sefr-Baroukh/Tafseer-Sefr-Barookh__05-Language.html

(2) Thomas Carson, Joann Cerrito ; The New Catholic Encyclopedia ; The Catholic University of America; Published by Gale, a division of Thomson Learning; Second Edition ;2003 ;Vol.2; P:131.

(3) باروخ:1/1-2.

ذكرها هنا ف "JJ Kneucker "قال أنها السنة الخامسة بعد سبي يهوياكين في 597 قبل الميلاد أما "Fritzsche" فقال أنها السنة الخامسة بعد سبي صدقيا وإحراق القدس عام 586 قبل الميلاد وهو الرأي الأكثر احتمالا[1].

أما الموسوعة الكاثوليكية الجديدة فقد رجحت أن يكون السفر قد كتب في أزمنة متفرقة؛ فالقسم (15/1 -8/3) من المفترض أنه كتب بين 165 و 70 قبل الميلاد باعتبار أن المعبد كان لا يزال قائما، أما القسم (9/3 -4/4) من المفترض أنه كتب بين 160 و 130 قبل الميلاد، أما القسم (5/4 – 9/5) لا يفترض أن يكون كتب قبل 63 قبل الميلاد[2]، وتاريخ ضم هذه الأجزاء إلى بعضها "لا يمكن تحديده بقول جازم على أنه من المحتمل أن الجزء الأول كان في الأصل منفصلا، ثم أضيفت القصائد الشعرية بعد ذلك تذييلا له، ولا يمكن تعيين التاريخ الذي انضم فيه الجزآن في سفر واحد"[3].

محتوى السفر:

من حيث المحتوى يمكننا أن نقسم السفر إلى أربعة أقسام بالإضافة إلى رسالة إرميا التي تشكل قسما منفردا:

- القسم الأول (1/1-14): وهو عبارة عن مقدمة تاريخية تصف الظروف والأهداف التي من أجلها وضع سفر باروخ، وهذا القسم هو تمهيد للصلوات التي ستأتي من بعد ولا سيما الاعتراف بالخطايا.
- القسم الثاني (15/1- 8/3): هو عبارة عن دعوة إلى الاعتراف بالخطايا وإلى الابتهال، وفي هذا القسم يذكر باروخ النبي كيف أن بني إسرائيل أساءوا إلى الرب وعملوا بنواهيه فاستحقّوا بذلك عقابه المتمثل في إخضاعهم لسلطة الأمم الوثنية، لكنه يعود مرة أخرى هذا النبي ليتنبأ ويذكر المسبيين أنهم أذا رجعوا إلى الله وهم في أرض المنفى فإن الله سيرجعهم إلى أرضهم ويعقد معهم ميثاقا جديدا أو عهدا أبديا[4].
- القسم الثالث (9/3-4/4): في هذا القسم دعوة إلى التأمل في الحكمة فهناك توضيح لفكرة تقول بأن الله يهب الحكمة لجميع الناس وبأن هذه الحكمة هي مخافة الله، وهذه الحكمة تتطابق مع الشريعة التي استودعها الشعب "المختار" وحده كما يحث الكاتب اليهود في هذا القسم على الرجوع إلى الحكمة وتعلم

---

(1) History Of New Testament Times; P: 413.

(2) Thomas Carson, Joann Cerrito; The New Catholic Encyclopedia; P: 131.

(3) المدخل إلى الكتاب المقدس، ص: 198.

(4)" و أقيم لهم عهداً أبدياً فأكون لهم إلهاً و يكونون لي شعباً و لا أعود أزعزع شعبي إسرائيل من الأرض التي أعطيتها لهم"(35/2).

الفطنة والتعقّل وفهم سبل الرب وتقديم توبة صادقة إليه والاستعانة به لكي ينقذهم.

- القسم الرابع (4/5-5/9): وهو عبارة عن تشجيع لأورشليم وشعبها، وفي هذا الجزء أيضاً يطالبهم الكاتب على لسان باروخ أن يرضوا الله ولا يذبحوا للشياطين وأن يحتموا بالصبر ثم يعد أورشليم بأنها سوف تخلع ثوب المذلة وتتزين بثوب البر[1].
- القسم الخامس (الإصحاح السادس أو رسالة إرميا): ويشمل هذا القسم الرسالة التي بعث بها إرميا بيد باروخ إلى اليهود الذين أوشك ملك بابل أن يسبيهم ويسوقهم مثل إخوتهم إلى بابل، وفيها يبرز إرميا فساد عبادة الأوثان كما يحذر اليهود من السجود للأصنام التي ليس لها نطق ولا حركة ولا روح مخبرا إياهم أنها ليست بآلهة وأنها لا تستطيع فعل شيء[2] وفي هذه الرسالة أيضاً يتنبأ إرميا أن مدة السبي في بابل ستكون سبعة أجيال ثم يخرج اليهود بعد ذلك من هناك بسلام[3].

القيمة اللاهوتية والأدبية للسفر:

تتجلى القيمة اللاهوتية للسفر في عدة نقاط يمكن أن نجملها كما يلي:

- الاعتراف بالله كحاكم مطلق للكون وكمتحكم في مصير إسرائيل "شعبه المختار" ، كما يؤكد السفر على رحمة الرب الذي يستمع إلى صراخ شعبه المسبي والمقهور، بالإضافة إلى تأكيده على معرفة الله الشاملة وحكمته الفياضة التي يهبها لمن يشاء[4].
- تأكيد السفر على أن العذاب والمعاناة التي لحقت بني إسرائيل كانت بسبب الخطيئة المتمثلة في عبادة الأصنام وتقديم الذبائح لها، كما أكد السفر في أكثر من مرة على أن تأديب الأطفال إنما هو بسبب خطيئة آبائهم لذلك أورثهم

---

(1) " اخلعي يا أورشليم ثوب الحزن والشقاء وألبسي للأبد بهاء المجد الذي من عند الله تسربلي برداء البر الذي من عند الله واجعلي على رأسك تاج المجد الأزلي"(5/1-2).

(2) " إن تلك الآلهة لها ألسنة نحتها صانع، وهي ملبسة بالذهب والفضة لكنها كاذبة لا تستطيع الكلام ، يأخذ الناس لها ذهبا كما يؤخذ لعذراء تحب الزينة، ويصوغون أكاليل يجعلونها على رؤوس آلهتهم وربما سرق الكهنة الذهب والفضة من آلهتهم وأنفقوها على أنفسهم وقد يعطون منها للزواني اللواتي على السطح" (6/7-9).

(3) " إنه بسبب الخطايا التي خطئتم بها إلى الله يسوقكم نبوكدنصر ، ملك بابل، أسرى إلى بابل فإذا دخلتم بابل فستكونون هناك سنين كثيرة وزمانا طويلا إلى سبعة أجيال وبعد ذلك أخرجكم من هناك بسلام" (6/1-2).

(4) The Apocrypha & Pseudepigrapha Of The Old Testament; Vol.1; P : 581.

السبي سبعة أجيال متلاحقة، كما ركز السفر على مفهوم الحكمة التي تكرر ذكرها في غالبية أسفار التوراة مبرزا أهميتها والغاية منها[1].

- إبراز السفر مرة أخرى لعدل الله ورحمته اتجاه شعبه من خلال إعطائه قوانين لعبده يعقوب تضمن له الحياة الرغيدة ومن خلال مغفرته وصفحه عن المخطئين من بني إسرائيل ليجدد معهم العهد أو الميثاق مرة أخرى ويجعله "عهدا أبديا"[2].
- تحدث السفر عن الخطيئة دون أن يذكر أي نوع من الخطايا هي، باستثناء ذكره للذبيحة للشياطين ولعله يقصد بذلك تقديم القربات للأصنام، ففكرة الخطيئة هذه ستصبح أكثر وضوحا وتبلورا بعد فترة المكابين ليصير مفهومها هو التمرد ضد الله، لذلك كان الرب يعاقب الشعب كله دون أن يعاقب أفرادا مخطئين بعينهم بعد أن تكرر تحذيره لبني إسرائيل على لسان موسى وعلى لسان بقية الأنبياء[3].

الانتقادات الموجهة للسفر:

بالإضافة إلى المشاكل السالفة الذكر والمتعلقة بعدم معرفة كاتب السفر والزمن الذي كتب فيه وكذا لغته الأصلية فإن سفر باروخ توجه إليه مجموعة من الانتقادات يمكن أن نلخصها كما يلي:

- هناك تناقض واضح بين نصوص السفر؛ ففي القسم الثاني وتحديدا بالإصحاح الثالث يحث الكاتب الإسرائيليين على العودة إلى أورشليم ويعتبر أرض بابل أرض الأعداء من خلال قوله: "لماذا يا إسرائيل؟ لماذا أنت في أرض الأعداء؟"[4]، بينما في الإصحاحين الأول والثاني كان الكاتب يقدس البابليين وأرض البابليين وملك البابليين لحد العبادة، بل أكثر من ذلك باركت النصوص الإسرائيليين المقيمين في أرض بابل[5] ، هكذا إذن يتبين لنا أن

---

(1) The Apocrypha & Pseudepigrapha Of The Old Testament; Vol.1 ; P : 581.
(2) -History Of New Testament Times; P : 424.
(3) History Of New Testament Times; P : 424425.
(4) باروخ: 13/3.
(5)" وصلوا من أجل حياة نبوكدنصر، ملك بابل، وحياة بلشصر ابنه لكي تكون أيامهما كأيام السماء على الأرض، فيؤتينا الرب قوة وينير عيوننا ونحيا تحت ظل نبوكدنصر، ملك بابل، وظل بلشصر ابنه، ونخدمهما أياما كثيرة وننال حظوة لديهما".(1/1-12). وفي موضع آخر يقول: "وهكذا قال الرب: أحنوا مناكبكم واعملوا لملك بابل فتمكثوا في الأرض التي أعطيت آباءكم إياها، وإن لم تسمعوا لصوت الرب بأن تعملوا لملك بابل فإني أزيل من مدن يهوذا وفي خارج أورشليم صوت الابتهاج وصوت الفرح وصوت العريس وصوت العروس وتكون الأرض كلها دمارا لا ساكن فيها".(2/21-23).

كاتب سفر باروخ كان تارة يمجد بابل وملكها وأرضها وتارة يلعنها ويلعن من فيها في تناقض واضح يطرح أكثر من تساؤل[1].

كما أن نصوص سفر باروخ جاءت متناقضة مع ما ورد في نصوص الأسفار القانونية الأولى وأخص بالذكر رسالة إرميا أو الإصحاح السادس من سفر باروخ الذي يرى أن الهجرة أو السبي إلى أرض بابل إنما هو عقوبة إلهية على شعبه المخطئ[2] وهذا ما يتناقض تماما مع الإصحاح الرابع والعشرون من سفر إرميا الذي يعتبر الهجرة إلى بابل نعمة ورحمة من الله على شعبه لإنقاذه من الهلاك بالجوع والسيف[3].

- ومن التناقضات أيضا القول في الإصحاح الأول أن المعبد كان لا زال قائما تؤدى فيه الصلوات والعبادات[4] بينما في الإصحاح الثاني هناك حديث عن خراب الهيكل المذكور[5].
- ورد في السفر ذكر لبلدة باسم "مران" حيث يقول: " وبنو هاجر الذين يطلبون العلم على الأرض وتجار مران وتيمان"[6]، وواضح أن هذه البلدة لم يسمع عنها من قبل ولم يرد ذكرها في أي سفر من أسفار الكتاب المقدس[7].

---

(1) هفوات التوراة، ص: 72-73 بتصرف.

(2) " نسخة الرسالة التي أرسل بها إرميا إلى الذين أوشك ملك بابل أن يسوقهم أسرى إلى بابل، يخبرهم بما أمره الله به: إنه بسبب الخطايا التي خطئتم بها إلى الله يسوقكم نبوكدنصر ملك بابل أسرى إلى بابل."(1/6)

(3) "ثُمَّ صَارَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَيَّ قَائِلاً: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: كَهذَا التِّينِ الْجَيِّدِ هكَذَا أَنْظُرُ إِلَى سَبْيِ يَهُوذَا الَّذِي أَرْسَلْتُهُ مِنْ هذَا الْمَوْضِعِ إِلَى أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِلْخَيْرِ. وَأَجْعَلُ عَيْنَيَّ عَلَيْهِمْ لِلْخَيْرِ، وَأَرْجِعُهُمْ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ، وَأَبْنِيهِمْ وَلاَ أَهْدِمُهُمْ، وَأَغْرِسُهُمْ وَلاَ أَقْلَعُهُمْ. وَأُعْطِيهِمْ قَلْبًا لِيَعْرِفُونِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، فَيَكُونُوا لِي شَعْبًا وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا، لأَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيَّ بِكُلِّ قَلْبِهِمْ.(إرميا: 24/4-7).

(4)" واتلوا هذا الكتاب الذي أرسلناه إليكم لينادى به في بيت الرب في يوم العيد وفي الأيام المناسبة وقولوا: للرب إلهنا البر، ولنا خزي الوجوه كما في هذا اليوم لبني يهوذا ولسكان أورشليم"(1/14-15)

(5)" وجعلت البيت الذي دعي عليه اسمك ما هو عليه في هذا اليوم بسبب شر بيت إسرائيل وبيت يهوذا".(2/26).

(6) باروخ: 3/23.

(7) أنظر: القمص بيشوي عبد المسيح، الأسفار القانونية الثانية، سفر باروخ، ص: 26.

- من الأخطاء التاريخية الواردة في سفر باروخ قوله أن بيلشاصر هو ابن نبوخذنصر[1] بينما ذكرت دائرة المعارف أنه ابن نبونيدس آخر ملوك تلك الفترة[2].
- ومن الانتقادات الموجهة كذلك إلى هذا السفر هو قوله أن اليهود المسبيين في بابل أرسلوا آنية من فضة إلى أورشليم إلى يوياقيم الكاهن[3] بينما ورد في سفر أرميا أن الكاهن الأول في ذلك الوقت هو سرايه[4].
- ورد كذلك في سفر باروخ أن مدة السبي ستكون سبعة أجيال[5] والجيل كما هو متعارف عليه مدته بين 30 و33 سنة، بمعنى أن مدة السبي ستتجاوز 210 سنة وهذا ما يتناقض مع ما جاء في سفر إرميا الذي سبق وذكر أن مدة السبي ستكون 70 سنة لا أكثر[6].

---

(1)" وصلوا من أجل حياة نبوكدنصر، ملك بابل، وحياة بلشصر ابنه لكي تكون أيامهما كأيام السماء على الأرض، فيؤتينا الرب قوة وينير عيوننا ونحيا تحت ظل نبوكدنصر، ملك بابل، وظل بلشصر ابنه، ونخدمهما أياما كثيرة وننال حظوة لديهما".(1/11-12).

(2) دائرة المعارف الكتابية، ص: 313.

(3)" وجمعوا من الفضة قدر ما استطاعت يد كل واحد وأرسلوه إلى أورشليم إلى يوياقيم بن حلقيا بن شلوم الكاهن وإلى كل الشعب الذي معه في أورشليم". (باروخ: 1/6-7).

(4) وأخذ رئيس الحرس سرايه الكاهن الأول وصفنيا الكاهن الثاني وحراس الأعتاب الثلاثة وأخذ من المدينة خصيا واحدا."(إرميا: 52/23).

(5)" إنه بسبب الخطايا التي خطئتم بها إلى الله يسوقكم نبوكدنصر ملك بابل أسرى إلى بابل فإذا دخلتم بابل فستكونون هناك سنين كثيرة وزمانا طويلا إلى سبعة أجيال." (باروخ: 1/6-2).

(6) "لأنه هكذا قال الرب : عند انقضاء سبعين سنة في بابل أفتقدكم وأتم لكم كلمتي الصالحة بإرجاعكم إلى هذا المكان". (إرميا: 29/10).